مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 27 عدد: 5(رت 74) السنة: 2023

الخطاب الإسلامي الدعوي و الدراسات الاستشراقية

"حتمية التجاوب والتجاوز"

Islamic preaching discourse and oriental studies
"The imperative to respond and transcend "

د.علي بوعزدية[1]
جامعة الجزائر-1-
ali.bouazdia23@gmail.com

تاريخ الوصول 2023/04/16 القبول 2023/05/15 النشر على الخط 2023/09/15
Received 16/04/2023 Accepted 15/05/2023 Published online 15/09/2023

ملخص:

تُعد الدراسات الاستشراقية من الحقول المعرفية التي ما تركت مجالا إلا ولجته، ولا فكر إلا وبلبلته، وقد ارتحلت كثير من مخرجاتها إلى مجالات حيوية لدى أمتنا؛ فلم تفرق بين النخب ولا العامّة، بله صارت هذه المخرجات هي المنظار التي نُرى من خلاله؛ وهذا ما جعل يُلح على الدعوة الإسلامية وخطابها أن يتصدى لهذه السموم؛ التي لا تنفك تتحور باستمرار كالفيروس، ومع غَور المصاب فإنّ بإمكان الخطاب الإسلامي الدعوي استثمار هذه المخرجات إذا فكر بروية وأناة.

من خلال ما قدمنا، وإحساسا بخطورة ما يعرقل السير السلس للدعوة الإسلامية، جاءت هذه الورقة العلمية لتبرز أهمية التجاوب الواعي للخطاب الإسلامي الدعوي والدراسات الاستشراقية ليتجاوزها، وذلك من خلال الإجابة عن السؤال المركزي الآتي: كيف يمكن ترشيد الخطاب الإسلامي الدعوي من خلال الدراسات الاستشراقية؟

ومن أهمّ النتائج التي خلُص لها البحث ما يأتي: - الوعي العميق بكتابات المناوئين للإسلام من المفردات المهمّة؛ إن أحسن الخطاب الإسلامي الدعوي استغلالها استطاع أن يُسهم بفعالية في استرجاع الريادة الحضارية لأمّة الإسلام.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الإسلامي، الدراسات الاستشراقية، الدعوة الإسلامية، الوعي.

Abstract:

Oriental studies are considered among the fields of knowledge that left no room for anything but its penetration, and no thought except for its confusion, and many of its outputs have traveled to vital areas for our nation. It did not differentiate between the elites or the public. Rather, these outputs became the binoculars through which we see them. This is what made him insist on the Islamic call and its discourse to address these toxins. Which keeps mutating continuously like a virus, and with the depth of the afflicted, the Islamic preaching discourse can invest these outputs if it thinks carefully and patiently.

Through what we have presented, and a sense of the seriousness of what impedes the smooth functioning of the Islamic call, this scientific paper came to highlight the importance of the conscious response to the Islamic preaching discourse and oriental studies in order to overcome it, by answering the following central question: How can the Islamic preaching discourse be rationalized through oriental studies?

Among the most important findings of the research are the following: - Deep awareness of the writings of opponents of Islam is an important vocabulary; The best exploitation of the Islamic preaching discourse was able to contribute effectively to restoring the civilizational leadership of the nation of Islam.

Keywords: *Islamic discourse, oriental studies, Islamic call, awareness.*

[1]- المؤلّف المراسل: علي بوعزدية البريد الإلكتروني: **ali.bouazdia23@gmail.com**

1. مقدمة:

إن واقعنا المعيش باتساع عالمنا الفسيح؛ ولكنّه المتقارب إلى حد التداخل، والمتجدد سريع التقلب، لقمين أن ينظر فيه الخطاب الإسلامي الدعوي ويُبدأ ويُعيد، ليُعدّ العُدة، ويرسم المنهج بدقة، ويغشاه بعقلانية وحذر، ويتحرك فيه بحكمة، وينأى عن الارتجال والعشوائية التي أرهقت الدعوة الإسلامية.

وتُعد الدراسات الاستشراقية من الحقول المعرفية التي ما تركت مجالا إلاّ ولجته، ولا فكر إلاّ وبلبلته، وقد ارتحلت كثير من مخرجاتها إلى مجالات حيوية لدى أمتنا؛ فلم تُفرق بين النخب ولا العامّة، بله صارت هذه المخرجات هي المنظار التي نُرى من خلاله؛ وهذا ما جعل يُلح على الدعوة الإسلامية وخطابها التجاوب الواعي مع هذه الظاهرة في سياقاتها الفكرية والدينية والتاريخية والواقعية، ادراكا واستيعابا، وتجاوزا، إذ بإمكان الخطاب الإسلامي الدعوي استثمار هذه المخرجات إذا فكّر بروية وأناة.

من خلال ما قدمنا، وإحساسا بخطورة ما يعرقل السير السلس للدعوة الإسلامية، جاءت هذه الورقة العلمية التي تهدف إلى بيان أهمية التجاوب الواعي للخطاب الإسلامي الدعوي والدراسات الاستشراقية ليتجاوزها، وذلك من خلال الإجابة عن السؤال المركزي الآتي: كيف يمكن ترشيد الخطاب الإسلامي الدعوي من خلال الدراسات الاستشراقية؟

للإجابة على هذه الإشكالية سأتبع خطة علمية منهجيّة في تقسيم البحث إلى العناصر الآتية:

1- مقدمة

2- ضبط المفاهيم

3- التجاوب الواعي للخطاب الإسلامي الدعوي والدراسات الاستشراقية

4- ضرورة تجاوز الخطاب الإسلامي الدعوي للدراسات الاستشراقية

5- الخاتمة وضمنتها أهم نتائج البحث

و قد اعتمدنا في هذا البحث على منهج الوصف لبعض مخرجات الدراسات الاستشراقية، وتحليلها، وبيان كيفية استيعابها وتجاوزها.

2. ضبط المفاهيم:

1.2 مفهوم الخطاب الإسلامي الدعوي:

أ- المفهوم اللغوي:

للخطاب مفهومان:

المفهوم الأول أصيل، ثابت، بسيط غير مركّب، عرفته العرب وورد في القرآن الكريم، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، وفي المعاجم اللغوية الأولى.

أما المفهوم الثان؛ فإنّه معاصر وذو طبيعة تركيبية يتعدَّى بها الدّلالةَ اللغوية، إلى المدارك الفلسفية، والأبعاد السياسية ، والمرامي الإعلامية.

وتتوضح الفروق بين الدلالات حسب السياقات التي تُورد فيها[1].

"الخطاب" اسم مشتق من مادة (خ ط ب) وقد جاء في لسان العرب: " الخِطابُ والمخاطَبة: مُراجَعَة الكَلامِ، وقد خاطَبَه بالكلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً، وهُما يَتخاطَبانِ، قال الليث: والخُطْبَةَ مَصْدَرُ الخَطِيبِ، وخَطَبَ الخاطِبُ على المِنْبَرِ، واخْتَطَبَ يَخْطُبُ خَطَابَةً، واسمُ الكلامِ :الخُطْبَة.

وقال الجوهري :خَطَبْتُ على المِنْبَرِ خُطْبَةً، بالضم، أَن يكونَ وَضَعَ الاسْمَ مَوْضِعَ المصْدَرِ، وذهب أَبو إِسْحاق إِلى أَنَّ الخُطْبَةَ عندَ العَرَب: الكلامُ المِنْثُورُ المسَجَّع، ونحوهُ . ورَجُل خَطِيبٌ: حَسَن الخُطْبَة، وجَمْع الخَطِيب خُطباءُ. وخَطُبَ، بالضم، خَطابَةً، بالفَتْح: صار خَطِيباً"[2].

وخلاصة ما تقدم أن الخطابة : كلام منثور بليغ وهو كلام يضارع في أصالته وقوة تأثيره الشعر، وللخطابة أغراض وأنماط كثيرة تتنوع أساليبها تبعا لذلك.

ب- المفهوم الاصطلاحي:

الخطاب الديني مصطلح حادث في مجال العلوم الاجتماعية عامّة، واللغويّات الاجتماعية خاصة، وقد شاع هذا المصطلح في الآونة الأخيرة مرتبطا بفكر التجديد، انطلاقا من رؤية تفيد، بحتمية إعادة النظر في المفاهيم والقضايا الدينية المطروحة على ساحة الفكر، والسياسة، والتعليم، وغيرها، من أجل استخلاص رؤية جديدة، تُعيد لأمّة الإسلام توازنها ومكانتها، وقد أشارت بعض البحوث والدراسات المعنية بقضايا الخطاب الديني إلى تعريفات متعددة، نذكر منها:

الخطاب الإسلامي هو: " الخطاب الإلهي متمثلا في القرآن والسنة الصحيحة، وهو أيضا الفعل البشري الهادف إلى تبليغ ونشر تعاليم الدين، ودعوة النّاس إلى الالتزام بأحكامه وتشريعاته، وهنا يكون المقصود بالخطاب الديني الإسلامي هو حصيلة الفهم البشري من الدين المنزّل وما يقوم به البشر من الجهد، لنشر هذا الفهم ووضعه موضع التطبيق"[3].

ويتسع الخطاب الإسلامي عند بعض الدارسين بأنه " ليس مجرد الخطابة التي نتلقاها من على منابر المساجد في صورة خطبة أو موعظة أو درس، بل هو مجمل ما يصلنا من أفكار أو تصورات بكل أشكال التعبير اللغوي، مسموعا أو مكتوبا، وبكل وسائل التوصيل التقنية أو المستحدثة، وبتلك التي نتلقاها فرادى أو جماعة"[4].

مما تقدم يمكن أن نعرف الخطاب الإسلامي الدعوي بأنّه: تبليغ هدايات الإسلام إلى الناس بكل الوسائل المتاحة والمشروعة، وحملهم على امتثالها في دنياهم.

---

[1] عصام البشير: نحو خطاب إسلامي يرتبط بالأصل ويتصل بالعصر، مركز الفكر السياسي والإسلامي الاستراتيجي، ط1، 2022م، ص11.

[2] ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج1، ص 361.

[3] إبراهيم البيومي غانم: تجديد الخطاب الديني في مصر-تحليل آراء عينة من الجمهور-، مجلة البحوث والدراسات الاستراتيجية، مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية، القاهرة، المجلد الثاني، 2006م، ص735.

[4] جابر محمد عبد الموجود: اتجاهات النخبة حول تجديد الخطاب الديني، مجلة البحوث الإعلامية، القاهرة، جامعة الأزهر، العدد 18، 2002م، ص70.

2.2 تعريف الاستشراق:

أ- المفهوم اللغوي:

جاء في لسان العرب معنى لفظة "شرق" من: "شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقاً: طلعت، واسم الموضع: المشرق... والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرّق ومغرّب، وشّرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق أما (الشرق) بسكون الراء: فهو المكان التي تشرق فيه الشمس، ونقول: (قد شرَّقوا): إذا ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق[1]، وفي الحديث: عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلاَ تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ، وَلاَ تَسْتَدْبِرُوهَا وَلَكِنْ شَرِّقُوا، أَوْ غَرِّبُوا [2]."

ولفظة (الاستشراق) لم ترد في معاجم اللغة العربية المختلفة، بل ورد ذكر جذرها وهو (شرق) كما تقدم، غير أن مفهومها اللغوي يتبين من خلال الاستناد لقواعد الصرف وعلم الاشتقاق؛ ف(الاستشراق) مصدر للفعل (استشرق)، وهو طلب الشرق، كما يقال؛ استفهم: إذا طلب الفهم، واستنصر: إذا طلب النصر، واسم الفاعل من (استشرق): مستشرق؛ وهو الذي يطلب الشرق[3]، والمقصود جغرافيّا ما وقع شرق وجنوب القارة الأوربيّة من العرب والمسلمين، وأيضا غيرهم من الأقوام والديانات سواء في آسيا أو إفريقيا.

ب- المفهوم الاصطلاحي:

يعرف الكاتب إدوارد وديع سعيد[4] الاستشراق بعدة تعريفات فيقول بأنّه: " أسلوب غربي للهيمنة على الشرق وإعادة صياغته وتشكيله فكريّا وسياسيّا وممارسة السلطة عليه."[5] فالاستشراق في نظر "سعيد" يشمل الدين ومختلف العلوم الانسانيّة والاجتماعيّة والتاريخيّة واللغويّة مادامت معبرة ومتصلة بالشرق.

وفي موضع آخر من كتابه يُعرف المستشرق ب: " أنّه من يقوم بدراسة الشرق، أو الكتابة عنه، أو بحثه، ويسري سواء كان المرء مختصا بعلم الإنسان، أو علم الاجتماع، أو علم التاريخ، أو فقه اللّغة،

وسواء كان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامّة أو الخاصّة، وما يقوم به المستشرق هو استشراق"[6].

---

[1] أبو الفضل جال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت 711هـ): لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط4، 2005م، 65/8.

[2] محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ): الجامع الصحيح، القاهرة، دار الشعب، ط1، 1407هـ – 1987م، ج1، ص109.

[3] رشيد العبيدي: الحركة الاستشراقية- مراميها وأغراضها، بغداد، مطبعة أنوار دجلة، بدون ط، 2003م، ص10.

[4] ادوارد سعيد (1935م-2003م): أستاذ جامعي، ومفكر وناقد فلسطيني عربي أمريكي مشهور على مستوى الولايات المتحدة الأمريكيا، والعالم. ولد في القدس بفلسطين في أسرة عربية نصرانية بورتستانتية، وتلقى تعليمه الأولي في القدس ومصر، ثم عاش في "الو م أ" منذ أن كان في الخامسة عشرة من عمره. عمل أستاذا للأدب الانكليزي والمقارن بجامعة كولومبيا في نيويورك، له عدة كتب مطبوعة. ينظر: ادوارد سعيد: الاستشراق- المفاهيم الغربية للشرق-، ترجمة: محمد العناني، القاهرة، دار رؤية للنشر و التوزيع، بدون ط، 2006م، ص2.

[5] المرجع نفسه، ص45.

[6] ادوارد سعيد: مرجع سابق، ص44 .

3.2 مفهوم التجاوب:

مصدر تجاوبَ حصَلَ بَيْنَهُمَا تَجَاوُبٌ عَمِيقٌ، و تجاوب القومُ مُطاوع جاوبَ: تحاوروا وجاوب بعضهم بعضًا، ردّ كلّ منهم على الآخر عبثًا[1]، ويأتي بمعنى: "ردُّ على منبّه أو دافع، وتكون: إما لفظيّة أو انفعاليّة أو حركيّة[2]. والذي نقصده في هذه الدراسة: هو تجاوب الخطاب الدعوي مع ما أنتجته أو تنتجه الدراسات الاستشراقية مما له علاقة بالإسلام أو بحضارة المسلمين.

4.2 مفهوم التجاوز:

طريقة جديدة في التفكير، دعا إليها وصول الطرق الأخرى إلى العجز عن احتواء الحقيقة، لأنها صارت أبعد من أن يصل إليها العقل أو العلم بالمفهوم التقليدي[3]؛ أو المناهج المتبعة.

3. التجاوب الواعي للخطاب الإسلامي الدعوي والدراسات الاستشراقية:

التجاوب الواعي هو الدعامة التي تجعل الخطاب الإسلامي الدعوي قادرا على ملاحظة الأفكار والتيّارات التي تمور في المجتمع، إذ من خلال هذا التجاوب الحكيم يستطيع الداعية إلى الله –عزوجل– أن يسير بخطى واثقة نحو هدفه المنشود، فتتمايز الأفكار ويضع كلّ في إطاره ويستشرف التحديّات التي تقف حجرة عثرة في طريق الدعوة إلى الله ؛ فلا يستهين بما حقه التقديم ولا يهتم بما حقه التأخير.

والدراسات الاستشراقية من أخطر هذه التحديّات لما كان ولا يزال لها من أثر في ابتناء "الصورة النمطيّة"[4] للإسلام والمسلمين في في مخايل الغربيين والمستغربين والمستلَبين حضريا من المسلمين، فصارت هذه "الصورة النّمطية" المشوّهة هي المنظار الذي يُنظر من خلاله إلى الإسلام والمسلمين وإلى القرآن والسنة والتشريع والحضارة الإسلامية، والأدهى هو تسرّب كثير من هذه الأغلوطات إلى فكر الأمّة عبر وسائل التواصل الاجتماعي وأفلام الهوليود والنتفليكس وغيرها، و"الصورة النّمطية" من أخطر المصطلحات لما تستبطنه من إيحاءات؛ تُصنع وتُعرض على أنّها حقيقه لا تقبل النّقاش إذ " الأفراد عادة لا يفرّقون بين العالم "كما هو" وبين رؤيتهم للعالم" كما يرونه" أو بين ما يُمكن تسميّته ب: "الحقيقة الموضوعية" و "الحقيقة ذاتية"، ومن هنا فقط: تستطيع أن تقول بأنّ الواقع قد بدأ ينهار بالفعل، وذلك لأنّ أفراد المجتمع في الحقيقة أصبحوا يبنون تصوراتهم من خلال ما يُقرأ، ويُسمع، ويُرى من خلال وسائل الإعلام"[5]. وما يتداول في وسائل التواصل الاجتماعي والأفلام.

ولما أضحت هذه الصورة بهذا المفعول فإنّه ستتحرك لا محالة رغبة عارمة في صانعي القرار الذين يقتاتون على تزييف الحقائق واختلاق الفوضى في تشويه الصورة الذهنية؛ أو على الأقل في صناعتها بصورة تتوافق ورغباتهم، وإن لم يساورهم الشك في أنّهم

---

[1] إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ج1، ص144.

[2] https://ontology.birzeit.edu/term/

[3] نادية بوذراع: فلسفة التجاوز في الفكر المعاصر، مجلة أفاق للعلوم، مج 7، عدد 03، 2022م، ص608.

[4] وقد كان أوّل من استعمل مصطلح "الصورة النّمطية" الكاتب والصحفي والمعلّق السياسي الأمريكي والتر ليبمان Walter Lippmann (1889-1974م) في كتابه "الرأي العام".

[5] محمد علي فرح: صناعة الواقع الإعلام وضبط المجتمع- أفكار حول السلطة والجمهور والوعي والواقع-، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2014م، ص99.

يشوهونها لكنّهم على الأقل هم الذين يصنعونها ويروّجون لها كما يتصورنها، ويَبعد أن تكون الصورة الذهنية صحيحة في ظل هذا التحارب والتسارع وتعارض الرغبات التي يعيشه العالم، فغدت الصورة الذهنية عرضة لكل أنواع الاحتمالات الممكنة، فقد تكون ثابتة أو متغيّرة، عقلانية أو غير عقلانية، محكمة منطقيا أو غير محكمة، مسطحة أو عميقة، متحيّزة أو موضوعيّة، تاريخية أو راهنة، قديمة أو متجددة؛ أو مزيجا من ذلك كله[1]، ومن هنا ينبغي الاهتمام واستحضار تلك الصوّر التي يتم صناعتها للإسلام والمسلمين، وأن ينبري لها الخطاب الإسلامي الدعوي بصياغه واعية تفنّد هذه المقولات التي صارت مصدرا من مصادر التشويه والتنميط والاختزال والاحتيال، وقد يتساءل السائل ويقول: ما علاقه هذه الصورة النّمطية بما ذاع في دوائر الاستشراق؟

لا ينكر أحد أنّ الأفكار الاستشراقية انتقلت اليها الكثير من الصّور التي رسمها رجال الكنيسة في العصور الوسطى حول نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم ... وقد تصدّعت الصورة القديمة أو الوسيطة لصالح صورة ذات معالم أخرى ليست بالضرورة أكثر انصاف ولكنّها أكثر تاريخية[2]، ولا يعني هذا أنّها استحالت كليّا؛ ولكنّ حدث عليها تعديل حسب توجه صانع الصورة، ومن الأمثلة على ذلك صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إذ محصول المقالات فيه التي ارتحلت من التصور البيزنطي إلى القرن الوسيط إلى الاستشراق ومن ثمّ إلى الصوّر المسيئة للنّبي صلى الله عليه وسلم وكيف صُوّر في وسائل الاعلام تعود إلى أوائل المقالات الكنسية التي كتبها "يوحنا الدمشقي" هذا القسيس الذي كان" ممهّد الجادة للمستشرقين الموسومين بتحاملهم على الإسلام فأكثر ما يزعمونه ويذكرونه عنه؛ هو ممّا كان قد قاله و دوّنه قبلهم بما يزيد على ألف عام"[3]، بل هي مُعتمد الصُوّر المسيئة التي صُوّر بها محمد صلى الله عليه وسلم، وأهم مقالاته في النّبي هي: نبوّة محمد كاذبة، والقرآن مَنحول لله قَصد تبرير شهوات جنسية (قصة زينب وزيد رضي الله عنهما)، وقد لُقّن محمّد الإسلام من قبل راهب مسيحي(بحيرا)، وليست هذه الديانة حسب القديس "يوحنا" سوى هُرطقة، أمّا ظهور محمّد فهو علامة من علامات المسيح الدجّال، ويرى "يوحنا" أنّ الإسلام انتشر بحد السيّف لا بالمحاجّة، وعلى هذا النّحو الجدلي انتقد ما عدّه شعائر وثنية في الإسلام كتقبيل الحجر الاسود وغيرها.

ثمّ ظهر في صلب الإمبراطورية البيزنطية في القرون الوسطى (القرن السابع حتى القرن الخامس عشر)، وبغيرها من الأمصار المسيحية مجادلون كرّروا ما قاله أسلافهم، وتأثروا برسالة "عبد المسيح بن اسحاق الكندي"[4]، وهي رسالة جدليّة، اتّهمت الرسول محمّد بالقتل، وحبّ النساء... ويُمكن أن نختصر باقي مقالات المجادلين النّصارى خلال القرون الوسطى في قولهم بتعارض القرآن مع العقل، وفي غمزهم على "وثنيّة" الإسلام، وقولهم إنّ عبادات المسلمين لا طائل منها، وقد نسب المجادلون الإسلام إلى

---

[1] ينظر: أحمد سالم: صورة الإسلاميين على الشاشة، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2014م، ص 57.

[2] ريتشارد سوذرن: صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة: رضوان السيد، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2006م، صص5-6.

[3] جاود علي: تاريخ العرب في الإسلام، السيرة النبوية، دار الحداثة، بيروت، 1988م، ص26.

[4] كُتبت هذه الرسالة خلال القرن العاشر الميلادي، وتَرجمها إلى اللاّتينيّة بُطرس الطُليطلي(Pedro de Toledo) ، برعاية الرّاهب الفرنسي بُطرس المحترم (ت. 1156 م ([Pièrre Le vénérable] رئيس دَيْر كلوني.(Abbé de Cluny)

- راجع حول الرّسالة كتاب نورمن دانيال:

Norman Daniel, Islam and The west, the making of an image (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1960), pp .6-12.

الهُرطقة، بل عدّوه جامع الهُرطقات، ولم يرؤا في محمّد سوى متنبٍّ، أخذ تعاليمه من هراطقة النّصارى، ومن اليهود[1]، نشر دعوته بقوّة السّلاح، وصاحب "الرّخص" الجنسية، وهي المطاعن التي ستتوارثها أجيال الغربيين ممّن كتب عن الإسلام.

أمّا كُتّاب عصر النهضة الغربية (أواخر القرن 15 حتى أواسط القرن 16) فقد رسخوا المطاعن القديمة على النبيّ، كتُهمة الصّرْع، وعشق النّساء، وانتشار الإسلام بالسّيف.

ولم يأتِ الرحّالة الغربيون إلى بلاد الإسلام في القرن السّابعَ عشرَ بجديد يُذكر في حديثهم عن الإسلام والرّسول، إذ لم يستندوا إلى مشاهدتهم، بل اعتمدوا على ما ورِثوه من مقالات أهل القرون الوسطى، فتواصل التشهير بعِشق محمّد للنّساء، وتلاعبه بالتعاليم حتى تُناسِبَ جميع مظاهر المتعة الجسدية[2].

ولم تكن مقالات عصر الأنوار (القرن 18) في النبيّ محمّد والإسلام بأفضل من مقالات القرون الوسطى، فصورة رسول الإسلام لدى "فولتير" قُدّت من أبشع المطاعن القروسطية القاتمة[3]. إذ ألّف سنة اثنتين وأربعين وسبعِمائة وألف مسرحيّة: التعصّب أو محمّد النبيّ، وأهداها إلى البابا بَنَوان الرّابِعَ عَشَرَ .(Benoit XIV) وقد جاء في هذا الإهداء:" أرجو أن تقبلَ قداستُكم من رجل شديد التواضع، لكن من أكثر النّاسِ حُبّا للخير، إهدائِيَ مُؤَلفا في الردّ على صاحب ديانة كذوب، ومُتوحِّشة"[4]. وهكذا ظلّ نهج الأوّلين مُستحكِما في أذهان فلاسفة ومفكِرّين حملوا لواء التجديد ونبذ التقليد!

تشعب التّأليف بأوروبا الناهضة في القرن التّاسعَ عَشَرَ عن الحضارة الإسلامية، وازداد الاشتغال لدى علمائها بالتاريخ، ونشير إلى بعض أعلام المستشرِقين الذين كان لهم كبيرُ الأثر في غيرهم من الكتاب الغربيين، وقد اتّخذ البحث مع هؤلاء الروّاد منزعا تاريخيّا نقديا واضحا، مثلما يتجلى في كتاب المستشرق النمساوي "شبرنجر" عن النبي محمّد (1869م)، إذ يُعدّ أوّلَ من هاجم السير "العقائدية" من خلال نقده للمرويات الإسلامية السردية بإظهار تأخرها، وصناعتها لمقاصد تمجيدية سياسية. [5]

ثمّ تعمّق الاتّجاه النقدي في دراسة تاريخ الإسلام مع المستشرق المجري "إ. غولدتسهر" في كتابه "دراسات محمّدية" (1881)،

---

[1] ما أوردناه من حديث في مقالات المجادلين النّصارى خلال القرون الوسطى، اعتمدنا فيه أساسا على كتاب نورمن دانيال المذكور آنفا:
Ibid, p (Islam and The west)272-275 .

[2] Ibid, pp. 279-282.

[3] Ibid., p. 289.

[4] Voltaire, Le fanatisme ou Mahomet le prophète, représentée la première fois en 1742 (Paris: 1825), p. 9= «Votre Sainteté voudra bien pardonner la liberté que prend un des plus humbles, mais l'un des plus grands admirateurs de la vertu, de consacrer au chef de la véritable religion un écrit contre le fondateur d'une religion fausse et barbare» (Paris, 17 Auguste 1745)
نقلا عن: حسن بزاينية: نقد مقدمات الأب لامنس النقدية لكتابة السيرة النبوية، مجلة الدراسات الاستشراقية، العراق، العدد 11، ربيع 1438هـ-2017م، ص77.

[5] (شبرنجر Aloys Sprenger ت 1893) مستشرق نمساوي الأصل ثم "تجنّس" إنجليزيا، وكتابه عن محمّد هو: - Das Leben und die lehre des Mohammad.
وقد صدر الكتاب ببرلين بين سنتي 1861 و1865، في ثلاثة أجزاء. عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993م، ص 28-32.

حيث انتقد الحديث النبوي، وبيّن أسبابَ "وضعه" لأغراض مذهبية حِجاجية، ولدواعٍ سياسية وعصبية (العائلات الحاكمة)...[1].

ولم تكن مقالات المستشرِقين في القرن التّاسعَ عَشَرَ خلوا من تكرار بعض التُّهم المسيحية القديمة للنبيّ، كنِسبة القرآن إليه، وأنّه من تأليفه ووضعه. ولم تخل كذلك من الإشارة إلى "عنف" النبي إزاء خصومه من اليهود خاصّة، والإلماع إلى كثرة زواجاته... ثمّ نراه أيضا في القرن العشرين الميلادي فيما كُتب في أكبر موسوعة جمعت أراء المستشرقين وهي "دائرة المعارف الإسلامية"[2]، وشارك في كتاباتها ألمع المستشرقين كلّ في مجال تخصّصه أو اهتمامه؛ وكان منها ما كتب عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم والسنه النبوية والسيرة[3]، وما ضمّنها أصحابها من أفكار صارت معتمد الكثير ممّن جاء بعدهم، وأفكارها ترجع -كما أسلفنا- إلى بدايات التشابك الإسلامي مع الصليبية وهي افتراءات وجدت طريقها إلى الأفلام وإلى وسائل التواصل الاجتماعي في هذا الزمان.

وهذا ما يؤكده عبد القادر طاش فيقول: " إنّ الصورة النّمطية المسيئة للإسلام والحرب التي يُروّج لها الإعلام الغربي اليوم ليست إلا امتدادا لتلك الصورة التي صنعها اللاهوتيون المسيحيون المتعصبون في العصور الوسطى، ورسّخها في الوجدان الغربي غلاة الصليبيين الطامعين في أرض العرب، وهي ذاتها الصورة التي سخَّر المستشرقون والمنصّرون أبحاثهم ودراساتهم وجهودهم والعلمية لتثبيتها في العقل الاستعماري الغربي، واليوم تُكمل بيوت الخبرة في الجامعات ومراكز البحوث والدراسات الشرقية والإسلامية في الغرب، ووسائل الإعلام الجماهيرية مهمّة السابقين في الابقاء على الصورة كما كانت؛ بل إنّ وسائل الاعلام الجماهرية تعمل الآن بسبب ما تمتلكه من قدرات تقنيه وأساليب جذب مبهرة على الترويج لهذه الصورة المسيئة للإسلام والعربي على المستوى الدولي؛ حتى أضحت هذه الصورة مادة إعلامية جماهيرية تعبر الحدود بلا تعب وتدخل إلى البيوت بلا استئذان في كل مكان في العالم"[4].

لكننّا نلمح -دون كبير عناء- أنّ هناك خطا فكريا واحدا يربط بين كل المراحل والنتائج التي ذكرناها، ويجمع أيضا بين كل هذه الدوافع التي أشرنا إليها؛ ويتمثل هذا الخط الفكري في عنصرين متكاملين:

* أحدهما استيلاء فكرة (التفوق) على العقل الغربي منذ القدم؛ ولذلك فالغربيون يرون أن الغرب هو مركز العالم، وأنّ الحضارة الغربية -بموروثاتها الدينية ومكوناتها الفكرية- هي (الحضارة) التي ينبغي أن تسود العالم، وأنّ ما عداها لا اعتبار له، ويلمس المرء في أقوال وأفعال الكثيرين ممّن يمكن أن نطلق عليهم (إمبرياليي) الغرب عبر التاريخ نغمه (واحدة) تتردد دائما وهي أنّ الإنسان (الأبيض) -وهو الغربي والمسيحي- هو وحده المؤهل لقيادة الإنسانية، وهو مكلّف برسالة (تنويرية) ل(تحضير العالم).

* أما العنصر الآخر في هذا الخط الفكري الغربي فهو عدم الاعتراف ب(الآخر)، والسعي حثيثا لإزاحته عن المنافسة، وهو -كما نرى- مكمّل للعنصر الأول، ومما لا شك فيه أن الإسلام- دينا وحضارة وقيامًا وواقعا- يمثل بالنسبة إلى متبني مركزية الغرب في العالم تحديا كبيرا يمكنه أن يقاوم نزعة الهيمنة في الحضارة الغربية؛ بل وأن ينافسها ويزاحمها، لذلك يتفق هؤلاء على ضرورة إزاحته من الطريق فهو الخطر الذي لابد من مواجهته بلا توقف"[5].

---

[1] Ignaz, Goldziher, Muhammedanische Studien, 2 vols. (Halle: 1889-1890).

[2] موجز دائرة المعارف الاسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، ط1، 1418- 1998م.

[3] انظر: المرجع نفسه: ج11، صص 3496-3526.

[4] عبد القادر طاش: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط2، 1414هـ-1993م، ص 8-9.

[5] عبد القادر طاش: مرجع سابق، ص 9-10.

إن استحضار هذه السياقات يفرض على الخطاب الإسلامي الدعوي النَّأْي بنفسه عن الفهم المبتسر، ويعلم أن الانحياز للثقافة الغربية سيمةُ أكثر المستشرقين- وهذا واضح في الصورة التي شُكّلت للنبي صلى الله عليه وسلم-، فلا يردد قول البعض: إنّ ضرر المستشرقين أكثر من نفعهم، ولا قول من ردّ على هذه المقولة: إنّ نفعهم أكثر من ضررهم، إذ الضرر والنفع متحقق، وهو الحق، ولكنه اختلاف في مدى ذلك النفع والضرر، ويمكن القول: إنّ هذه السجالات تكوّن منطلقا لنقد الاستشراق إيجابا وسلبا[1].

4. ضرورة تجاوز الخطاب الإسلامي الدعوي للدراسات الاستشراقية:

الخطاب الإسلامي الدعوي هو انعكاس للحالة التي تعيشها الأمّة من تخلف وتقهقر، وبالرغم من بعض الجهود الجادة التي تُبذل هنا وهناك إلاّ أنّه بشكل عام ليس بالصورة المرضية التي ينبغي أن يكون عليها، فمن مهمّات الخطاب الإسلامي الدعوي أن يكون حصنا منيعا ضد تيّارات التغريب والتخريب، فيواجهها ويعالجها ثمّ يتجاوزها، قال الله تعالى: "**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (104)" (سورة آل عمران)، والدّراسات الاستشراقية بما تحمله من تحيّز يستنزف كثيرا من الجهود الدعوية، ولذلك صار تجاوزها أمرا لازبا، وهذا لا يعني أنّها لم تواجه بدراسات رصينة فنّدت أفكارها وأظهرت عوارها، أثبت أكثرها بعض الباحثين في رصد ورق (ببليوجرافي) حول نقد الاستشراق، والاستشراق والاسلام، والاستشراق والقرآن الكريم، والاستشراق والسيرة النبوية، نذكر منهم "علي بن إبراهيم النملة" في بعض كتبه منها: " نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربية "[2]؛ ولكنّها ظلّت منحسرة في أبحاث الاكاديميين والدارسين المتخصصين، أمّا السواد الأعظم من الدعاة فضلا عن المدعوين فهو مغيّب عنها أو يكاد، وهذا ما بات يُمثل خطرا على عقائدي النّاس بين المسلمين فضلا عن الآخرين، والمتأمّل في مستوى الخطاب الإسلامي الدعوي يجده لا يستحضر هذه الإشكالات القمينة بالاهتمام، وأنّى له ذلك وهو يجهل أداة الفهم وهي معرفة لغة المستشرقين ف" لا يتصور باحث موضوعي/أكاديمي أن (تُستوعب) ويُنتقد الاستشراق دون الإلمام بلغاته، أو بإحدى لغاته الرئيسة، كاللغة الألمانية والانجليزية والفرنسية والروسية والإسبانية والإيطالية، على تفاوت بين هذه اللغات دراجات الإسهام والدراسات الإسلامية، والذين يجيدون بعض هذه اللغات ينتقدون الاستشراق بثقة، ولذا نراهم مع نقدهم للاستشراق يتوجّهون إلى مراكزه في مزاحمة علمية للمسترقين أنفسهم" [3]؛ وكيف يضطلع الخطاب الاسلامي الدعوي بهذه المهام الجسام ويُحقق أهدافه وهو منفصل عن واقعه المعيش بما يطرحه من قضايا، فلا هو فكّر- أي ما يُقدم على أنّه خطاب دعوي- في كيفيّة تجاوز المطبات ولا عمل على ترجمة أفكار النابهين من المفكرين والدارسين المتخصصين في هذه الأمّة ليُوصلها للمدعوين، ولذلك كانت الحاجة ملّحة إلى زيادة الوعي لدى الحلقات الوسيطة التي تتشابك مع الجماهير؛ بتصحيح مفاهيمها لما تمثله من أهمية في تجسير العلاقة بين العلماء والمتخصصين من جهة؛ والجماهير من جهة أخرى، و ربما هم الذين عناهم الامام احمد بقوله: " ما أحوج الناس إلى قاصّ صدوق"[4].

---

[1] علي بن إبراهيم النملة: نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربية، بيسان للنشر، بيروت، ط1، 1431هـ-2010م، ص19-20.

[2] المرجع نفسه، ص 45-301.

[3] ينظر: علي بن ابرهيم النملة: مرجع سابق، ص 23.

[4] محمد ابن مفلح الحنبلي المقدسي (ت 763هـ): الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب، بيروت، دط، دس، ج2، ص 82.

لا يلتبس على البصير أنّ كثيرا من الشبهات التي تظهر في زماننا لها خلفية استشراقية صِيغت في أزمنة مختلفة، والكثير منها قد تجاوزه أصحابه ممّن أنصفوا الإسلام من أمثال: "بوركهارت **Burckhardt** "، و"كرنكوف **Krenkov** "، و"زونستين , **Zunstein** "، و"شنيتسر **Schnitzer** , "، و"دينه **Dinah** , "، و"فلوري **Florey** , "، و"مارمادوك **Marmaduke** "، و"ليوبولد فايس **Leopold Weiss**"، و"جرمانوس **Germanus** "[1]، والقائمة تطول لتشمل محمد هوبهوم ومراد "هوفمان **Hoffman**"، فضلا عن الدارسين من علماء المسلمين أمثال: مصطفى السباعي، السيد محمد الشاهد، رضوان السيد، أحمد الشيخ، ومحمود محمد شاكر...وغيرهم، و تعاطي الداعية مع هذا الواقع الفكري فهما واستيعابا وتجاوزا ونشرا؛ وإن لم يكن جديدا على الفكر الإسلامي ولكنه حتما يُحسن التجدد، يُعَدّ مرتكزا لنجاعة خطابه الدعوي لأنّ " السقوط الحضاري، مهما كان قاسيا، يكون بالإمكان تجاوزه، واستدراكه، واستئناف عمليّة النّهوض من جديد، إذا اقتصر السقوط والانهدام على عالم الأشياء، أو ما اصطلح على تسميته: "بالمدنية"، واستمر عالم القيّم والأفكار، أو ما اصطلح على تسميته: "بثقافة" سليما"[2] ومحاطا بسياج من المناعة يعسر اختراقه، و" لذلك استطاعت الأمّة الإسلامية بما تملك من قيّم محفوظة بحفظ الله: "**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ** (9)" (سورة الحجر) والمتحقق حفظها من خلال عزمات البشر استطاعت أن تعيد البناء، وتمارس عمليّة النهوض، على الرغم من فداحة الانكسارات وعظم النكسات وشراسة الهجمات وقوة الأعاصير المدمّرة، لأنها لم تفتقد قيّمها وأفكارها ومخطط النهوض ودليله.

وفي ضوء ذلك يمكن أن نعيّ مَرَمِي قوله تعالى في أعقاب هزيمة غزوة أحد: "**وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** (139) **إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ** (140)"(آل عمران)، إنّه استعلاء الإيمان رغم سقوط وهزيمة الأشياء، وعظم الانكسار، وقوله في سورة البروج، بعد أن عرضت السورة لعذابات المؤمنين، وتحريقهم بالأخدود، وشراسة الظالمين، وتقديم نماذج للظلم المتصاعد، فقال: " **هَلَ أَتِيكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ** (17) **فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ** (18) " (سورة البروج) ،طغيان واستبداد حاكم: فرعون...وتواطؤ وظلم أمّة ثمود، ثمّ ختم السورة بقوله تعالى: " **بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ** (21) **فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ** (22) " (سورة البروج)، الأمر الذي يلمح منه الإنسان، أن الشدائد الشديدة لا تنال من الأمّة ولا تسقطها، إذا حُفظ لها عالم الأفكار، الذي يضمن القدرة على العَوْد، لذلك فإنّ معركة إسقاط الأفكار والغزو الثقافي هي الأخطر دائما وعلميّا"[3]، وخاصة في زمن صارت فيه الثقافة الغربية والمركزية الأوروبية التي أقامت الدراسات الاستشراقية وعملت هذه الأخيرة على تكريسها غالبة وذات جاذبية.

وهذا الذي يجعل الصوّر النّمطية من أخطر ما تحارب به الأمّة خاصة إذا طالت القدوة والأسوة الذي أُمرنا بأن نلزم غرزه، فإن لم نقم بمحاصرة هذه الأراجيف امتلكت قوّة وفرضت نفسها، وهذا ما يدفعنا لا لتجاوب دفاعي فقط؛ بل إلى حتمية التجاوب للتجاوز؛ لتحقيق الاستمرار وتحرير الإسلام وخاصة نبيّه صلى الله عليه وسلم من الأقانيم الفكرية المشوّهة، فالأمّة إن تشوشت صورتها في نبيّها عليه الصلاة والسلام كيف" تستلهم من الأنموذج المعصوم، وتفقه الحالات المشابهة، وتضع الواقع في موقعه

[1] نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف القاهرة، مصر، ط3، 1964م، ج3، ص 1162.
[2] عمر عبيد حسنة: في النهوض الحضاري- بصائر وبشائر-، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1417هـ-1996م، ص28 .
[3] المرجع نفسه، ص 29.

المناسب... وتستفيد من كيفية تعامله مع الحال المشابه، لتسديد المسيرة، تغدية السير، بعيدا عن أي تقليد ومحكاة للنماذج الرديئة، من أي مصدر جاءت" [1].

ونهوض الأمّة من جديد يستلزم صناعة المسلم المتوازن الرسالي الذي يحمل بدوره أمانة حراسة عالم القيّم، وتنزيلها على الواقع؛ فباستمرار حمل الأنموذج وعدم انقطاعه تتميّز الأمّة " ولعل من سمة الخلود، الذي يعتبر من لوازم الرسالة الخاتمة، تعني فيما تعني، من الناحية النظرية: القدرة على الإنتاج العملي في كل عصر، وتأكيد ذلك من الناحية العملية التطبيقية إنّما يكون في امتداد الأنموذج الذي يجسد القيّم، ويدلل على قدرتها على الإنتاج وقابليتها للتطبيق وإثارة الاقتداء به"[2]، وهذا ربما ما جعلنا نستشف الأبعاد الغائية في حديث الطائفة المنصورة الذي رواه الشيخان أن عمير بن هانئ قال سمعت معاوية على المنبر يقول سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول: " لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس."[3]، فاستمرار هذا الأنموذج المجدد المتجدد، مرتهن بقدرته على معايرة نفسه بالقدوة المسددة بالوحي والمؤيدة به، إذ " السيرة النبوية تشكل أحد المعايير التطبيقية لتقويم التاريخ"[4] وتقويم حركة الأمّة وهي تكابد عمليّة النهوض من جديد.

والخطاب الدعوي يرنوا إلى انتفاع الناس بما يُدْعَون إليه؛ ولكن يبقى هذا الانتفاع محدودا لاعتقادهم بصعوبة ما يخاطبون به من هدايات الدين، أو التي طالها شيء من التشويش أو التزييف، إذ الذي يؤثر فعلا في الناس هو الأفكار الواضحة والمبادئ والفضائل المجسدة في سلوك البشر مثلهم، وهذا هو معنى منح العصمة للأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– بالعصمة يصبح سلوكهم شرحا لما أمروا بتبليغه، بل يصبح سلوكهم نفسه تشريعا.

ولا شك في أنّ من أعظم القيّم التي لا بد من صوْنها هو "الأنموذج الأعظم" لما يمثله من رمزية، وهو من أعظم التحديات التي تواجه الخطاب الإسلامي الدعوي.

والتجاوز للإنجاز الذي لابد للخطاب الإسلامي الدعوي أن يضطلع به يبدأ من تقويم الأفكار المقلقة التي تواجهها الأمّة، ولا شك أنّ من أخطرها الدراسات الاستشراقية ولكن بإنصاف، للاستفادة منها، ليما لها من تأثير كبير في تكوين العقلية الغربية عن الإسلام والمسلمين، حتى تكوّنت لديهم صورة مشوهة عن عالمنا العربي والإسلامي، وتصحيح هذه الصورة بخطاب هادئ معتدل، يمد الجسور مع المنصفين، وأيضًا من خلال تصحيح واقعنا والنهوض به، وبتحويل الأفكار إلى ثقافة، ويعني ذلك فيما يعنيه " تَشَبُّع الإنسان بالفكرة إلى درجة أنّها تصبح لديه خارج النقاش والعملية ليست سهلة، فقد ذكر أحد الباحثين أن نزول الأفكار من أعالي النظر لتصبح عادة يومية للإنسان قد يحتاج إلى ثلاثة أجيال، والسؤال هو: كيف يمكن تحويل الأفكار والقيّم إلى ثقافة، وما ينبغي التركيز عليه في هذا الشأن؟

تتحول الأفكار إلى ثقافة وعادة من خلال ثلاثة أمور أساسية هي:

---

[1] عمر عبيد حسنة: مرجع سابق، ص 24.

[2] المرجع نفسه، ص 26.

[3] رواه البخاري برقم (**10**)، ومسلم برقم (**5064**) واللفظ لمسلم.

[4] عمر عبيد حسنة: مرجع سابق، ص26.

أ- التربية: وهي أهم أداة في عملية التحويل هذه، وذلك لأن القيّم والأفكار تنتقل من خلال المعايشة والتأثر بالجو الذي ينشأ فيه المتربي[1]، سواء بتعليق المربَى بالأنموذج - وهو النّبي صلى الله عليه وسلم- قال الله تعالى: " لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَالْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً (21) " (الأحزاب)،و بتصفية وتنقية هذا الأخير عن كل ما يعْلق به أو يصوّر عليه.

ب- التدريب: يستهدف التدريب أساسا اكتساب المهارات التي يحتاجها المتدرب في الارتقاء بعمله، والحقيقة أن التدريب الناجح إذا تلقاه شخص له مناعة فكرية، راغب وذو عزيمة، يغيّر في الشخصية ويحسن في السلوك والعلاقات، ويقلّل من الهدر في الوقت وفي المواد المستخدمة والتدريب بعد هذا يوجد نوعا من البرمجة العصبية لدى المتدرب، فيتصرف بكل شكل صحيح من غير وعي منه، أي يصبح السلوك الصحيح جزءا من ثقافته ويتحقق بأوصاف الهدي النبوي، ومن هنا فإنّ على المنظمات والهيئات والجماعات الصحوية -والدعوية- أن تنفق بسخاء على تدريب اتباعها ومنسوبيها على المهام الدعوية والإصلاحية التي تكلفهم بها، وأعتقد أن التدريب على الخطابة والحوار والتفكير المنهجي وإدارة المجموعات من الأمور المهمة التي لا يصح إغفالها[2]، إذ هي من أهم استراتيجيات إحداث التغيير.

ج- سن القوانين: تميل الثقافة بوصفها سلوكا تلقائيا إلى الحرية وكراهية القيود، ولهذا فإن النّاس لا يحبون أن يروا أنفسهم مكبلين بنظم وقواعد وقوانين تحظر عليهم بعض السلوكيات المرغوبة، وتوجه أنشطتهم، والسؤال الذي يطرح نفسه ما الأفكار والقيّم الأساسية التي على الصحوة أن تصونها وتحولها الى ثقافه وسلوك بسيط وتلقائي لدى أبنائها؟

الجواب هو: أن في امكاننا أن نقسم ما أشير إليه في السؤال إلى قسمين: قيم وأفكار ينبغي أن تتوفر لدى كل مسلم صالح، وقيم وأفكار مطلوب وجودها لدى كل من يسعى إلى أن يكون له دورا في الدعوة والإصلاح والقيادة، ونمثل بما ذكرناه آنفا بخصوص الصورة النّمطية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم:

- معاقبة كل من يتعرض للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.
- مقاطعة الدول التي تسيئ للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا بالطبع إذا مُكّن للإسلام والله غالب على أمره.

وربما نختم بأنّ المسافة التي تفصل بين الواحد منّا وبين هذه المعاني والقيم هي عين المسافة التي تفصل بين الصحة والمرض، والنجاح والإخفاق، وعلى مقدار ما تكون هذه المسافة قصيرة يكون تصحيح المفاهيم وصونها؛ ومن ثمّ التقدم والازدهار في الخطاب الاسلامي الدعوي بحول الله وطوله.[3]

[1] عبد الكريم بكار: الصحوة الإسلامية-صحوة من أجل الصحوة-، دار المعارج، سورية، ط1، 1433م، 2012م، صص 197-198.(بتصرف)

[2] المرجع نفسه، صص 198-199.

[3] عبد الكريم بكار: مرجع سابق، 200.(بتصرف)

5. خاتمة:

التفاصيل السابقة تشير إلى الذوق الغربي في تشكيل الصورة النّمطية للإسلام والمسلمين عامّة وللنّبي صلى الله عليه وسلم خاصة، ما هو إلاّ مثال لكثير من هذه الصور التي ينسجها الغرب، ويسعى لترويجها.

ولا مناص من هز الوعي المسلم ليدرك خطرها، ومدى تأثيرها على واقعه ومستقبله وتحقيق الشهود الحضاري الذي أُنيط به.

وعليه، فليس أمامنا إلا طريقان: إمّا التخلي عن الوحيين كليهما–والعياذ بالله– لصالح ما يراد لنا ويُخطط لنا وهذا من الهوان.

وإمّا أن نتمسك بهدايات الوحيين وما جاء فيهما من حق، ونرفع بهما رأسا ممتثلين ومبلغين وذابّين عنهما.

وأهمّ النتائج التي توصلت إليها بعد هذا العرض، ما يأتي:

– الوعي من المفردات المهمة إن أحسن الخطاب الإسلامي الدعوي استغلالها؛ استطاع أن يسهم بفعالية في استرجاع الريادة الحضارية لأمة الإسلام.

– من المعينات على وأد الأفكار المقلقة ملاحقتها ومعرفة سياقاتها، وقد تجلى ذلك في صورة النبي صلى الله عليه وسلم عند الغربيين.

– تجاوز الدراسات الاستشراقية لا يكون باستشراق مضاد؛ بل بنقد معرفي موضوعي.

6. قائمة المراجع:

- **القرآن الكريم**
- إبراهيم البيومي غانم: تجديد الخطاب الديني في مصر–تحليل آراء عينة من الجمهور–، مجلة البحوث والدراسات الاستراتيجية، المجلد الثاني، مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية، القاهرة، 2006م.
- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، 2مج.
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711هـ)، لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، (بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ).
- أبو الفضل جال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت 711هـ): لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ط4، 2005م).
- أحمد سالم: صورة الإسلاميين على الشاشة، (بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2014م).
- ادوارد سعيد: الاستشراق– المفاهيم الغربية للشرق–، ترجمة: محمد العناني، (القاهرة، دار رؤية للنشر و التوزيع، بدون ط، 2006م).
- الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد(ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ).
- جابر محمد عبد الموجود: اتجاهات النخبة حول تجديد الخطاب الديني، مجلة البحوث الإعلامية، العدد 18، القاهرة، جامعة الأزهر، 2002م.
- جاود علي: تاريخ العرب في الإسلام، السيرة النبوية، (بيروت، دار الحداثة، دون طبعة، 1988م).

- حسن بزاينية: نقد مقدمات الأب لامنس النقدية لكتابة السيرة النبوية، مجلة الدراسات الاستشراقية، العدد 11، العراق، ربيع 1438هـ-2017م.
- رشيد العبيدي: الحركة الاستشراقية- مراميها وأغراضها، (بغداد، مطبعة أنوار دجلة، بدون ط، 2003م).
- ريتشارد سوذرن: صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة: رضوان السيد، (بيروت، دار المدار الإسلامي، ط2، 2006م).
- عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، (بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1993م).
- عبد القادر طاش: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، (القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1414هـ-1993م).
- عبد الكريم بكار: الصحوة الإسلامية-صحوة من أجل الصحوة-، (سورية، دار المعارج، ط1، 1433م).
- علي بن ابرهيم النملة: نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربية، بيسان للنشر، بيروت، ط1، 1431هـ-2010م.
- عصام البشير: نحو خطاب إسلامي يرتبط بالأصل ويتصل بالعصر، (مركز الفكر السياسي والإسلامي الاستراتيجي، ط1، 2022م).
- عمر عبيد حسنة: في النهوض الحضاري- بصائر وبشائر-، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1417هـ-1996م).
- محمد ابن مفلح الحنبلي المقدسي (ت 763هـ): الآداب الشرعية والمنح المرعية، (بيروت، عالم الكتب، دط، دس، 3أجزاء).
- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى : 256هـ): الجامع الصحيح، (القاهرة، دار الشعب، ط1، 1407هـ – 1987م).
- محمد علي فرح: صناعة الواقع الإعلام وضبط المجتمع- أفكار حول السلطة والجمهور والوعي والواقع-، (بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2014م).
- موجز دائرة المعارف الاسلامية، (الشارقة، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1418- 1998م).
- نادية بوذراع: فلسفة التجاوز في الفكر المعاصر، مجلة أفاق للعلوم، مجلد 7، عدد 03، 2022م، ص608-622.
- نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف القاهرة، مصر، ط3، 1964م، 3أجزاء.

المراجع الأجنبية:

- Ignaz, Goldziher, Muhammedanische Studien, 2 vols. (Halle: 1889-1890).
- Norman Daniel, Islam and The west, the making of an image)(Edinburgh: Edinburgh University Press, 1960.
- Régis, Blachère, Le problème de Mahomet, essai de biographie critique du fondateur de l'Islam (Paris: P.U.F, 1952).